عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَالَ:

١ «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ، ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ،

٢ فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً،

٣ وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ،

٤ وَإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، كَتَبَهَا اللهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً،

٥ وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا، كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»(٢٣٥).

(٢٣٥) رواه البخاريُّ (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

آيات

- ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].
- ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].
- ﴿مَنۡ عَمِلَ سَيِّئَةٗ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَاۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ يُرۡزَقُونَ فِيهَا بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [غافر: ٤٠]

الراوي

هو: عبدُ الله بنُ عبَّاسِ بنِ عبد المطَّلب، القُرَشيُّ، الهاشميُّ، أبو العبَّاس، وُلد بشِعب بني هاشم قبل الهجرة بثلاثِ سنين، حَبر الأمَّة وتُرجمان القرآن، دعا له النبيُّ ﷺ بقوله: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»[١]، وهو من الصحابة الْمُكْثِرين من روايَة الحديث، ولازَم النبيَّ ﷺ بعد الفتح وروى عنه، وكُفَّ بصرُه في آخِرِ عُمُره، وتُوفِّيَ بالطائف سنةَ (٦٨هـ)[٢].

خلاصة

في الحديث بيانُ كرم اللهِ تعالى ورأفته بعباده؛ حيث يجازيهم على إرادةِ فعل الخير وإن لم يفعلوه، ويضاعف لهم ثوابَ الطاعات، كما أنَّه يجازيهم إن امتنعوا عن سيئةٍ همُّوا بها، فإن فعلوها أثبتها واحدةً من غير مضاعفة.

(١) رواه البخاريُّ (١٤٣) واللفظ له، ومسلم (٢٤٧٧).

(٢) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نعيم (٣/ ١٦٩٩)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البرِّ (٣/ ٩٣٣)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٢٩١).

١ بيَّن النبيُّ ﷺ أنَّ اللهَ تعالى **قدَّر الحسنات والسيئات قديمًا، وفق علمه سبحانه**، ثم أخبر الملائكة الكَتَبَة بكيفية كتابتها، أو **أنَّه سبحانه أمر الكَتَبَة بكتابة الحسنات والسيئات على العباد**، ثم أخبرنا بطريقة احتسابها وكتابتها.

٢ فإذا نوى العبدُ فعلَ طاعةٍ من الطاعات **وعقد العزمَ على فعلها** ثم لم يفعلها، فإنَّها تُحسب له حسنةً كاملةً.

والمرادُ هنا انعقادُ العزم والتصميمُ على الفعل، لا مجرد الخَطرة التي تخطر ببالِ العبدِ ثم تتلاشى من غير نية فعلٍ؛ لقوله ﷺ: «مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا، فَعَلِمَ اللَّهُ مِنْهُ أَنَّهُ قَدْ أَشْعَرَ قَلْبَهُ، وَحَرَصَ عَلَيْهَا، كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً»(٢٣٦).

٣ وإذا فَعَلَ الطَّاعةَ جازاه عليها أضعافًا؛ فتكون الحسنةُ بعشرِ أمثالها لا تقل عن ذلك؛ لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وتُضاعَفُ لمن يشاءُ اللهُ تعالى، فتكون بسبعمائة ضعفٍ أو أكثر؛ قال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

٤ أما إن نوى العبدُ ارتكابَ معصيةٍ من المعاصي وعقد العزمَ على ذلك، ثُمَّ تذكَّر ربَّه وأناب إليه وامتنع عن تلك المعصية، فإنَّ اللهَ سبحانه يجازيه على امتناعه بأن يكتبها له حسنةً كاملةً.

وإنما جُوزي بذلك لأنَّه خالفَ هواه وعصى شيطانه ونوى الخيرَ بالامتناع عن الشرِّ، وهو عملٌ قلبيٌّ يستحقُّ عليه الجزاءَ؛ يشهد له قولُه ﷺ: «على كلِّ مُسلمٍ صَدَقةٌ». قالوا: فإن لم يَفعَل؟ قال: «يُمسِكُ عن الشرِّ؛ فإنه صَدَقةٌ»(٢٣٧).

ولهذا فإنَّ مَن نوى المعصيةَ ففاتته أو حيل بينه وبينها لم يكن داخلًا في مفهوم الحديث ولا استحقَّ الثوابَ المذكور؛ لقوله جلَّ جلالُه في الحديث القدسي: «إنّما تركها من جرَّاي»(٢٣٨). أي: من أجلي.

٥ فإن ارتكبَ العبدُ المعصيةَ أثبتها اللهُ تعالى عنده سيئةً واحدةً من غير مُضاعفة، قال سبحانه: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ [غافر: ٤٠]، بل يقبل توبةَ من تاب ويمحوها، ويغفرها لمن يشاء من غير توبة.

---

(٢٣٦) رواه أحمد (١٩٢٤٤).

(٢٣٧) رواه البخاريُّ (١٤٤٥)، ومسلم (١٠٠٨).

(٢٣٨) رواه مسلم (١٢٩).

على أنَّ السيئة قد تتضاعفُ لشرف المكان؛ كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥]؛ فرتَّب سبحانه العذابَ الأليم على الهمِّ بالمعصيةِ فيه. كما تُضاعف بشرف الزمان؛ كالمعصية في الأشهر الحُرُم، وتُضاعفُ كذلك بشرف فاعلها، فالمعصيةُ من الأنبياء والأولياء أشدُّ إثمًا من غيرهم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٤، ٧٥]، وقال جلَّ وعلا: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠].

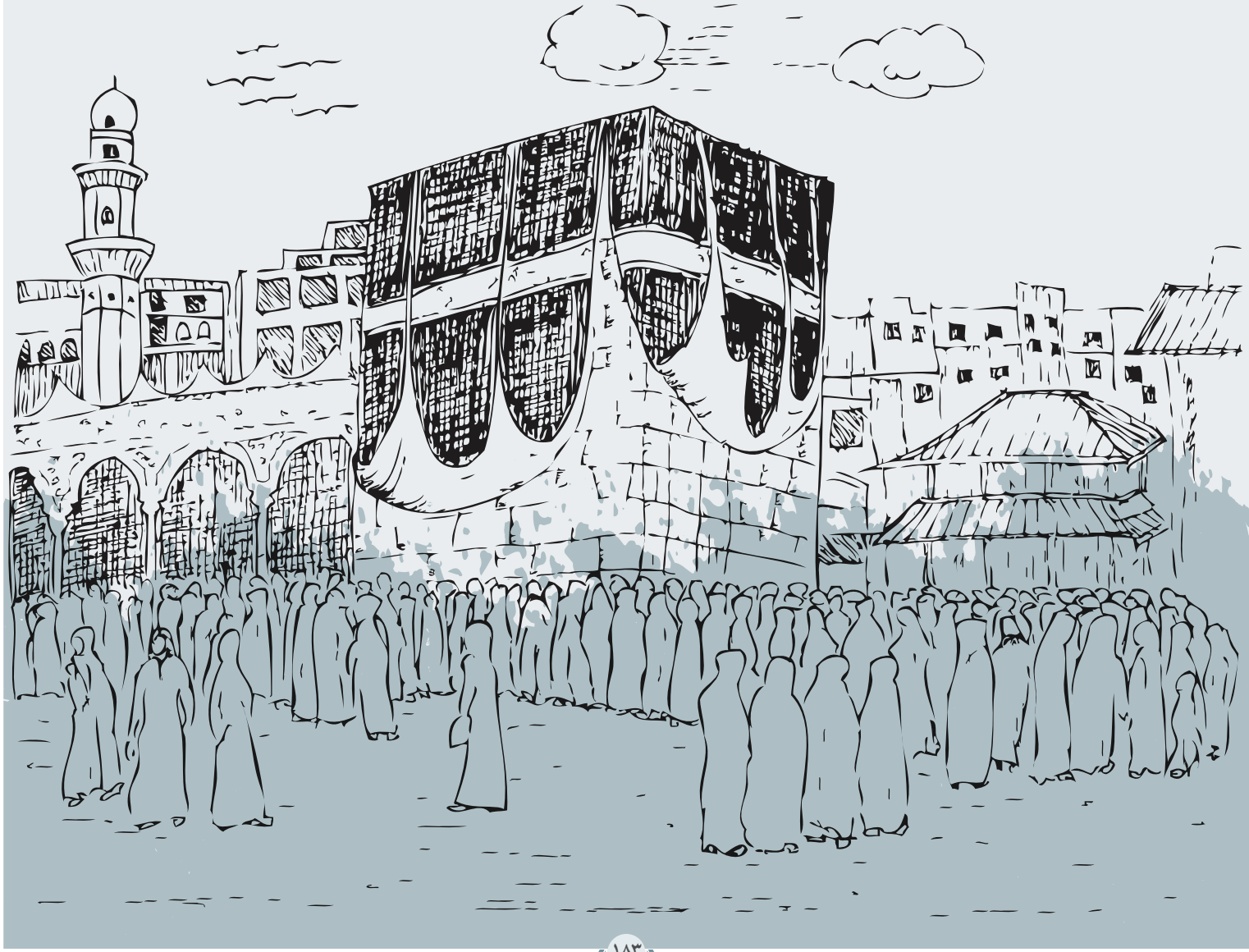

التَّتبُّع

١ (١) إذا تأمل العبدُ كيف يحاسب اللهُ سبحانَه عبادَه على أفعالهم ورأى لُطفه ورحمته بهم لازداد حبًّا وخضوعًا لربِّه جلَّ وعلا؛ فلولا فضلُه ورحمته ما دخل الجنةَ أحدٌ من خلقه.

٢ (٢) على المسلم أن يعزم على الطاعات وإن لم تتيسر له، فإنه مجازى بها وإن لم يفعلها.

٣ (٢) يستطيع المسلمُ أن يحصد الكثير من الحسنات من غير تعبٍ أو مشقةٍ؛ فما عليه إلا أن ينويَ الخيرَ ما تيسر له فعلُه؛ فينوي التصدَّق إن حصل له مالٌ، وينوي الجهادَ إن تيسَّر، ويعزمُ على النوافل وقراءة القرآن.

٤ (٢) قال ﷺ: «مَنْ أَتَى فِرَاشَهُ وَهُوَ يَنْوِي أَنْ يَقُومَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ حَتَّى أَصْبَحَ كُتِبَ لَهُ مَا نَوَى وَكَانَ نَوْمُهُ صَدَقَةً عَلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ»(٢٣٩).

٥ (٣) بادر إلى الطاعات والقُرَب؛ فإنَّ الله سبحانه يجازي على الحسنة أضعافًا كثيرةً.

٦ (٣) انظر كيف هيَّأ اللهُ تعالى لعباده الطاعات، ثم جازاهم عليها أعظمَ الجزاء؟ سبحانَه مِن ربٍّ رحيم ودودٍ يتقرب إلى عباده بالنِّعم، ويحبُّ أن يتقربوا إليه بالطاعة فيزيدهم عليها جزاءً عظيمًا.

(٢٣٩) رواه النسائي (١٧٨٧)، وابن ماجه (١٣٤٤).

٧ (٤) جعل اللهُ تعالى للملائكةِ الكَتَبَةِ الاطَّلاع على ما ينويه العبد ويفكر فيه، أفلا يورثنا ذلك حياءً أن يعلموا منَّا حرصًا على معصيةِ اللهِ تعالى؟!

٨ (٤) لا تظنَّنَّ أنَّ ما حِيل بينك وبينه من المعاصي تُثاب عليه؛ بل لا تُثابُ إلا إن امتنعتَ مختارًا نادمًا تائبًا.

٩ (٤) إياك أن تحمل ذنب المعصية التي لم ترتكبها؛ فمَن عزم على فعل شيءٍ من المعاصي ثم لم تُتَح له الفرصةُ لها عُوقبَ كمن فعلها؛ قال ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النّار»، قالوا: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنّه كان حريصًا على قتل صاحبه»[٢٤٠].

١٠ (٥) من رحمة الله تعالى أنَّه جعل السيئة واحدةً من غير مضاعفة كما جعل الحسنات مضاعفة. فلا ييأس عاصٍ من رحمته، ولا يقنط مسرفٌ على نفسه من معاصيه.

قال الشاعر:

وَإِنَّ عَلَيْنَا حَافِظِينَ مَلائِكًا كِرَامًا بِسُكَّانِ البَسِيطةِ وُكِّلُوا
فَيُحْصُونَ أَقْوالَ ابْنِ آدَمَ كُلَّهَا وَأَفْعَالَهُ طُرًّا فَلا شَيءَ يُهْمَلُ

(٢٤٠) رواه البخاريّ (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).